العلم (١)

لاجرم ان العلم الصحيح الكامل وسيلة الى كل فضيلة وصلاح وسلم ارتقاء الامم الى اعلى درجات النجاح والفلاح . به يتميز الانسان على الانسان كما يتميز على غيره من انواع الحيوان بالعقل والبيان . ولذلك وصف بانه حياة النفوس وضياء البصائر و بان رتبته ارفع الرتب . ووصف العلماء بانهم ورثة الانبياء وامناء الله على خلقه ومصابيح الهداية وكواكب الارض . كما وصف الجهل بانه موت النفوس وعمى الاذهان وظلام العقول . ووصف الجاهل بانه بهيمة في صورة انسان و بأن عينيه في ظهره . ورأسه في معدته . وقد كان للعلم شأن عظيم عند كل أمة من الامم السالفة واول من اشتغل به البابليون او الكلدانيون فكان علماؤهم يتقنون رصد الكواكب بمنتهى التدقيق واخترعوا لها المزاول المضبوطة وكان لهم باع طويل في الطب وشهرة واسعة في الصنائع النفيسة كالنقش والحفر والتصوير . ثم انتقل العلم الى الفرس والفينيقيين والصينيين والهنود واليونان والرومان وكلما سطعت انواره في أمة ارتفع شأنها وعظم عمرانها . وكلما تقلص ظله من مملكة تقلص معه مجدها واقل سعدها وتزعزعت اركانها وتهدم بنيانها كما حدث للشعوب التي مرّ ذكرها . فلما جاء العرب ادركوا ما للعلم من المنزلة العالية في الحالتين المدنية والسياسية وعرفوا شدة الحاجة اليه في الشؤون الاجتماعية وعنوا بنشره في البلاد العربية فسطع ضياؤه في الشام والعراق ومصر والمغرب والاندلس ولا سيما في زمن الخليفة العباسي المأمون الذي انتقى افضل الكتب الفلسفية اليونانية وامر بترجمتها الى العربية وحرض الناس على مطالعتها وتعلمها حتى حفلت بغداد بالعلماء والمصنفين وزخرت خزائنها بالكتب النفيسة وامتدت شعلة الطلب والتدريس الى سائر البلاد الاسلامية . وفي زمن الخليفة الاموي عبد الرحمن الملقب بالناصر الذي جعل مدينة قرطبة داراً للعلم على نحو ما كانت بغداد في المشرق والقيروان في المغرب والقاهرة في مصر وحشد الكتب من افريقية وبلاد فارس ومصر وسائر الآفاق العربية حتى

(١) خلاصة محاضرة للاستاذ انيس سلوم القاها في ٢١ تموز سنة ١٩٢١ م .

جمع في ما يقال اربع مئة الف مجلد وقيل اكثر وانتشرت هذه الرغبة في جميع الكتب حتى كانت من انفس ما يتغالى به . وقد قيل ان الاندلس كان فيها في اوائل القرن الخامس للهجرة سبعون مكتبة حافلة .

وكان للعلماء عند العرب مقام سام حتى ان الخلفاء انفسهم كانوا يصبون الماء على ايدي العلماء ويقضون اوقاتهم بين المحابر والدفاتر و يعتنون ببيوت العلم كما يعتنون ببيوت العبادة . ورغب علماء العرب في العلوم الطبيعية وافلحوا فيها واخذوا عن اليونان مبادئ الفلك والهندسة والحساب والجبر والطب والنبات وغير ذلك من العلوم وحسنوها كلها وما زالت انوار المعارف ساطعة في آفاقهم حتى دالت دولهم فأُلقيت مقاليدها الى الغربيين وقد كانوا خابطين في ظلمات الجهل فاهتدوا بما اقتبسوه من علوم العرب واجتهدوا في اتقانها وزادوا عليها وبعد ان كانوا تلاميذ العرب اصبحوا بجدهم ومثابرتهم وثباتهم اساتيذ العالم بأسره وقادة الافكار البشرية كلها وتوصلوا بفضل فروع العلم المختلفة الى الاتيان باعجب الاختراعات والاكتشافات واعظم الاعمال التي تحير العقول وتكاد تشبه المعجزات واستخدموا كل ذلك في ما يؤول الى خير البشر وراحتهم وسعادتهم . ولا بد لي في هذا المقام من ذكر خلاصة المنافع التي جناها العلماء من حدائق العلم واهدوها الى المجتمع البشري وهي : (١) تحسين الصحة العامة فان العلماء كجنر و باستور و كوخ وغيرهم اكتشفوا ادوية وافية وشافية من الجدري والخناق والهواء الاصفر والحميات المتنوعة . والجراحين تفننوا في الاعمال الجراحية و بلغوا في اتقانها درجة سامية فاصبحوا قادرين ان يفتحوا البطن و يستأصلوا بعض الاعضاء بدون تعريض الحياة للخطر وساعدهم على النجاح في اعمالهم استعمال مضادات الفساد التي اوصلهم العلم الى كشفها حديثاً فقلت الوفيات بتقدم الطب والجراحة ومراعاة القوانين الصحية وطال معدّل العمر كما ثبت ذلك بالاحصاآت الدقيقة وشهادة الخبراء العارفين . قال احد ساسة اليابان انه قبل انتشار العلم في بلادنا كان اكثر من ثلثي اطفالنا يموتون لجهلنا وسائط التربية وقوانين الصحة وكانت الاوبئة تفتك بنا فتكاً ذريعاً لجهلنا طرق الوقاية منها ووسائط منع تفشيها اما الآن فان المدارس والمستشفيات والاطباء والوسائط الفنية قد افادتنا فوائد جمة لا يسع احداً انكارها فتحسنت عندنا الصحة العامة وزادت مواليدنا على وفياتنا . وهو قول حري بالاعتبار وكفى به دليلاً على ان العلم لم ينتشر في بلاد الا افاد اهلها فوائد

صحية عظيمة والصحة أساس كل خير ونجاح وهي أهم من كل شيء ولا يغني عنها شيء .

(٢) تقوية العقل وترقيته بتمرينه على الحذر والانتباه والملاحظة والاستقراء والاستدلال والقياس والتدقيق والتحقيق والاستنباط والاختراع ورد النتائج الى اسبابها الحقيقية وادراك النسبة بين العلل والمعلولات . وجملة القول ان العقل المستنير بضياء العلم الصحيح يكتسب مضاء وقوة وتتحرر من عبودية الخرافات والخزعبلات والترهات التي كانت تخيف الناس كالاعتقاد ان الخسوف والكسوف وظهور ذوات الاذناب وهبوط البلازك مما يؤثر في احوال البشر ويجلب عليهم الحروب والاوبئة والمجاعات وغيرها من البلايا . وكما ان الرياضة البدنية بالالعاب المتنوعة والاعمال المختلفة تقوي البدن كذلك الرياضة العقلية بدرس العلوم المختلفة تقوي العقل وتزيل عنه الجمود والخمول والوهن وتقوّمه كل اعوجاج فيه . فعلم الهندسة يقي الذهن من التشتت وعلم المنطق يعصمه من الخطإ في الفكر ويدربه على اقامة الحجج . وعلم الحقوق يعينه على استحضار القضايا والاستشهاد باقوال الفقهاء واثبات الدعاوي بالنصوص الشرعية والقانونية . غير ان الرياضيات أشد العلوم تثقيفاً للعقل لانها قائمة بالقياس والبرهان ومتضمنة احسن ما يُهيَّأ به العقل للاستدلال واقامة الحجة .

(٣) اصلاح الآداب فان الذين تعلموا العلم الصحيح يعرفون ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات فيحافظون على حقوقهم ويقومون بواجباتهم ويحترمون انفسهم فيعتزلون المنكرات ويترفعون عن الدنايا ويتزينون بالاخلاق الحسنة ويتسابقون الى الاعمال الشريفة والمساعي الحميدة فلا ريب ان العلم الصحيح يصلح الآداب ويحسن الصبت ويجمل الخصال ويقلل الجرائم في البلاد . ولذلك قيل اذا امتلأت المدارس فرغت السجون . وكما بعد الناس عن العلم وتوغلوا في الجهل ساءت اخلاقهم وفسدت آدابهم ونجمت أعمالهم كما يرى ذلك في القبائل المتوحشة كقبائل اواسط افريقية التي تأكل لحوم البشر وتعمل القبائح التي لا يليق ذكرها بلا خوف ولا حياء لان غير المتمدنين لا يرتدعون عن الوحوش المفترسة الا بكونهم يقبلون العلم والتهذيب اذا أُتيح لهم ذلك وتوفرت لديهم الوسائط الكفلة به . فان قيل ان بعض اهل العلم ذوو اخلاق فاسدة

وآداب ساقطة قلنا ان علمهم غير صحيح او غير كامل لان العلم الصحيح الكامل مقترن ابداً بالاخلاق الفاضلة فلا يصدر عنه الا الصلاح فهو كالشمس التي لا يصدر عنها الا النور

(٤) اخضاع الامور الطبيعية لسلطة الانسان فالذين تعمقوا في العلم عرفوا كثيراً من اسرار الطبيعة وكشفوا خفاياها واطلعوا على سننها وخباياها وشاهدوا عجائبها وغرائبها واستنبطوا دخائلها ومكنوناتها واستخدموا لمنافعهم قواتها فسخروا برق السماء وتسلطوا على الماء والهواء واخترقوا الحجب ببعض الاشعة فرأوا ما تخفي على الابصار وولدوا قوة الماء بدائع الانوار وتمكنوا من اجتناء كثير من الفوائد ورفع كثير من الاضرار وانما توصلوا الى كل ذلك بفضل الطبيعيات وهي علوم التجربة والاستقراء .

(٥) توفير الثروة فان العلم هو الذي حسن مصادرها اي الزراعة والصناعة والتجارة فوفرت الاموال وحسنت الاحوال باصلاح الاعمال وبيان ذلك ان العلماء توصلوا بعلم الزراعة وهندسة الري الى تزييد غلال الارض كما يشاهد ذلك في اكثر بلاد الغرب وبعض بلاد الشرق كمصر التي اصبحت تفيض ذهباً وهاجاً على سكانها بفضل تحسين الري فيها . وبعلم المعادن استخرجوا كنوز الارض الثمينة وذخائرها المدفونة . وبعلم الكيمياء رقوا الصناعة وتفننوا فيها على اساليب شتى حتى انهم انتفعوا بالنفايات كالخرق البالية والاقذار الجارية والعظام وقصاصة الجلد ونشارة الخشب والامعاء فصنعوا منها الورق الابيض الصقيل والطيوب الزكية ومقابض السكاكين واوتار آلات الطرب الى غير ذلك من الاشياء التي ينتفع بها وبأثمانها . وحازت المانيا قصب السبق في هذا الميدان فكانت تصدر من الاصباغ الكيماوية المستخرجة من قطران الفحم في كل سنة ما يبلغ ثمنه اربعين الف الف دينار فوق ما كانت تستعمله في بلادها وقد نابت تلك الاصباغ منا — النيل الذي كان يستعمل من قديم الزمان لهذه الغاية . وجملة القول ان العلم هو الذي افاض الغنى العظيم على سكان اوربة واميركة وهو الذي فتح لهم خزائن الارض وهو الذي حول الماء والتراب والنبات ومعادن الرصاص والحديد والنحاس الى ذهب وعاج والفرق بينهم وبين اكثر الشرقيين هو انهم هم يحتالون على الارض ليستخرجوا النعب من ترابها وماءها ومعادنها ونباتها واكثر الشرقيين يحتالون على الثروة الموجودة في ايدي الناس

إستلبوها بالغش والخداع ولذلك كانت ثروة الغربيين تزداد بالاجتهاد في العلم وثروة الشرقيين تنقص بالكسل والجهل .

(٦) تسهيل طرق المعيشة وتوفير اسباب الراحة باستخدام القوات الطبيعية مثل قوة الماء وقوة الهواء بدلاً من قوة الحيوان كما في ادارة الارحية بهما بدلاً من ادارتها بالايدي واستخدام البخار لتسيير القطر في البرّ بدلاً من الخيل والجمال والسفن في البحر بدلاً من الاشرعة وتسخير البرق لنقل الانباء الى اطراف المعمور في طرفة عين بواسطة الاسلاك المعدنية وبدونها بدلاً من البريد والسعاة . وانارة البيوت والشوارع بالاضواء اللوامع بدلاً من الشموع والسرج وتسيير المركبات وتدوير الآلات والقيام بأكثر الحاجات كالغسل والطحن والعجن والخبز والكنس وغير ذلك مما كان يعمل باليد اصبحت قوة الكهرباء تعمله بدون مشقة وكل ذلك بفضل العلم . وزد على ذلك اختراع الآلات العديدة التي تخفف التعب وتوفر الوقت كآلة الخياطة وآلة النسج وآلة الطبع وغيرها مما تضيق المجلدات عن وصفه . فالمطبعة تطبع في ساعة ما لا يستطيع الانسان ان يكتبه في شهر والمنسجة تنسج في يوم ما لا يقدر الانسان ان ينسجه في سنة وعلى ذلك فقس . وخلاصة ما يقال في هذا الشأن ان العلم يمكن الانسان من السفر الى اقصى الارض في ايام قليلة ومعرفة اخبار العالم في ساعات معدودة ومخاطبة من يشاء على امد الوف من الاميال في لحظة والحصول على الوف من الكتب باثمان زهيدة . وقدم له الجليد في ايام الحرّ الشديد والدفء في ايام البرد القارس وحمل اثقاله وسهل اعماله واراح جسده وافكاره وازال من سبيل سعادته اكثر العقبات وهوّن عليه في حياته اعظم الصعوبات .

(٧) الابتهاج بآيات الله في خلقه فان العلم بما في هذا الكون العجيب من الآيات البينات من اكبر دواعي المسرات لانه يكسب صاحبه لذةً عقلية تفوق كل لذة جسدية بمقدار ما يفوق العقل الجسد فاذا طاف عالم الحيوان والنبات الحقول او الغابات بسمت له الازهار ورحبت به الاشجار واطربت سمعه الاطيار لانه درس خصائصها وعرف طبائعها واذا رفع عالم الفلك بصره الى القبة الزرقاء في ليلة زهراء او رصد كواكبها او تأمل عجائبها شعر بلذة لا يعبر عنها بلسان ولا يشعر بها الا اولو العرفان وكذلك يهتز الشاعر طرباً لنفيس الاشعار ويترنم الموسيقي عجباً لنغمات الاوتار ويجد كل عالم او

متفنن في علمه او فنه سروراً عظيماً لا يقدر الجاهل ان يعرفه او يشعر به فحياة العالم سعيدة وايامه بهيجة اذ لا شيء يبهج القلب ويملأه حبوراً مثل العلم ولا صحة لقول بعضهم من زاد علماً زاد هماً لان زيادة العلم تزيد المسرة واللذة وذلك ثابت بالبديهة لانه كما ان النور يبهج البصر بكشفه المرئيات كذلك العلم يبهج القلب بكشفه الحقائق الثمينة للعقل فكلما زادت المعرفة زادت اللذة .

(٨) رفع شأن الافراد والجماعات والامم فقد رفع العلم كثيرين من وهدة الهوان الى ذروة المجد فبعدان كانوا حطابين او خزافين او صانعي احذية ارتقوا الى مراتب الوزراء او السفراء او رؤساء الجمهوريات . والامم التي عنيت بالعلم ورفعت الوبته في بلادها بلغت اعلى ذرى العز والنعمة والنجاح والسيادة والتاريخ اكبر شاهد على ذلك فان مملكة الرومان لما كان العلم فيها مشرقاً اتسع نطاقها وعلا سؤددها وخدمها السعد قروناً فمدت صولجانها على الخافقين ولكن لما انطفأت شعلة العلم فيها تمزقت شذر مذر وكذلك جرى للممالك السالفة وللدول العربية فانها لما عنيت بالعلم سادت وشادت وبلغت من المجد ما أرادت ولما أهملته انحط شأنها وتهدم عمرانها . والدول العظمى في عصرنا الحاضر لم تبلغ ما بلغته من العز والقوة والجاه والسطوة الا بفضل العلم وحسبنا اثباتاً لهذه القضية ما نراه من البون الشاسع الادبي بين اليابان والصين وهما في بلاد الشرق الاقصى فان الصين على اتساع ارضها وكثرة عدد سكانها ليس لها شأن يذكر بين الدول المعظمة . واليابان على ضيق ارضها وقلة عدد سكانها لا تقل شأناً عن دول اوربة العظمى وكفاها فخراً انها غلبت أعظم الدول الغربية واكبرها جيشاً وما سر غلبتها الا العلم فلا تطمع أمة او مملكة في العز والصولة والمجد والعظمة والسيادة والقوة مادام الجهل ضارباً اطنابه فيها وذلك من البديهيات التي لا ريب فيها عند العقلاء . قال زوج الملكة فكتوريا في احدى خطبه حين كان رئيساً للمجمع العلمي البريطاني « ينبغي ان يزيد التفات الدولة الى العلم كما نرجو وستجد فيه عنصراً جوهرياً من عناصر قوتها ونجاحها » . وقال الفيلسوف جول سيمون « ان الامة التي تعلم بنيها التعليم الاكثر تصير العظمى بين الامم ان لم يكن في اليوم ففي الغد » . وقال واشنطون في خطابه الوداعي لبلاده « أحلوا اهل المراكز العلمية المحل الاول فان الحكومة التي تقصد الاعتماد على رعاياها يجب ان

تهذب عقولهم قبل ذلك ». وقد حفظ الاميركيون هذه الوصية واهتموا بنشر العلم اهتماماً عظيماً وانفقوا في هذا السبيل الاموال الطائلة حتى ان الحكومة وقفت على ترقية العلوم في الولايات المتحدة مئة وخمسين الف فدان من اراضيها الزراعية وكذلك اهتمت دول اوربة بترقية المعارف في بلادها وانفقت قناطير من الذهب على المدارس والمجامع العلمية والمكاتب العامة لتيقنها ان العلم هو الدعامة الكبرى في بناء الممالك والسلم الوحيدة الموصلة الى ذرى المجد والعظمة فلا غنى عنه في السياسة كما انه لاغنى عنه في الزراعة والصناعة والتجارة . هذه هي خلاصة منافع العلم ذكرتها بالايجاز ولو شئت الاسهاب لما استطعت الى ذلك سبيلاً لانه يستغرق السنين الطوال ويملأ المجلدات الضخمة . وهنا يجدر بنا ان نسأل ماذا كان نصيبنا من تلك المنافع واي اختراع او اكتشاف مفيد ينسب الينا في هذا العصر ؟ ان لادينسون الاميركي الذي لايزال حياً يرزق نحو الفي اختراع مفيد غير بها حالة المجتمع البشري ورقى شؤون العالم العمرانية وهو رجل واحد فهل اخترع اهل بلادنا اختراعاً واحداً كلهم وهم يعدون بالوف الالوف ؟ أليس البشر كلهم من طينة واحدة فلماذا نرى هذا الفرق العظيم بيننا وبين الغربيين أعلمهم أشرف منا اصولاً ام اسمى عقولاً ام اصح أذهاناً ام اقوى أبداناً ام أغزر نفوساً ام أكبر رؤوساً ؟ ! لا لعمري فقد أثبت الاختبار ان السوري اذا توفرت له وسائط الارتقاء وجال في ميدان العلم جارى غيره ولم يقصر عنه وبعض السوريين الذين دخلوا جامعات اوربة واميركة سبقوا رفقاءهم من ابناء الغرب وامتازوا عليهم بالتحصيل فنحن لاينقصنا الا الاجتهاد والاتحاد والثبات . اننا لا ننكر ان حالتنا العلمية اليوم أحسن مما كانت عليه منذ مئة سنة وذلك بفضل الحكومة السابقة والحكومة الحاضرة والبعثات الاجنبية . فبعد ان كان ظلام الجهل مخيماً في ربوعنا حتى انه لم يكن فيها من يعرف القراءة والكتابة الا افراد يعدون على الاصابع كانوا يتيهون عجباً بتلك المعرفة القليلة ويمشون في الارض مرحاً زاعمين انهم وسعوا كل شيء علماً وبعد ان كانت بلادنا خالية من المدارس العالية والمطابع والصحف السياسية والمجلات العلمية نبغت فيها انوار العلم فتشيدت المدارس المختلفة من ابتدائية وعالية وطبية وتجارية وصناعية وحقوقية تخرج منها كثيرون من شبان البلاد النجباء فشغلوا احسن

المناصب في سورية ومصر وغيرها وانشئت الصحف والمجلات وظهر في هذا القطر الكتاب والخطباء والصيادلة والاطباء والمحامون والمعلمون والمهذبون كما يشهد هذا المحفل الحافل . ولكن اين نحن من الغربيين الذين جاؤا بالعجب العجاب وحيروا بأعمالهم الالباب فجعلوا البر بحراً والبحر براً وذلك بفتح الترع كترعة السويس وترعة بناما العجيبة وانشاء المرافئ كمرفإ بيروت ومرفإ نيويورك وكثير غيرها ومشوا على وجه الماء وغاصوا في لجج الدأماء وركبوا على مناكب الهواء بالمناطيد والطيارات وساحوا بين كواكب السماء بالمراصد والنظارات وقاسوا ما بينها من الابعاد بادق الآلات وصنعوا من الادوات الحديدية المختلفة الاشكال والحجوم ما يفوق الحصر ويدهش العقل من آلات الساعة الدقيقة التي لا تكاد ترى بالعين المجردة الى القاطرة البخارية التي تجر وراءها سلسلة مركبات ضخمة لا يدرك الطرف آخرها الى الجسر العظيم العجيب كجسر بروكلين الذي تجري عليه القطر وتسير من تحته السفن . قيل ان بناء هذا الجسر شغل نحو ثلاث عشرة سنة ونفقاته بلغت ثلاثة آلاف الف ليرة انكليزية وهو من اسلاك قوة كل منها اثنا عشر الف وسق وعليه طريقان حديديتان وطريقان للترامواي وطريقان للمركبات الخيلية وطريق للمشاة عرضها ثلاث عشرة قدماً فهو من غرائب المصنوعات البشرية . وقد فتحوا الانفاق الطويلة في الجبال وتحت الانهار والبحار لتسيير مركبات البخار وبنوا الخزانات الكبيرة لحفظ المياه الغزيرة والانتفاع بها وقت الحاجة . وجملة القول انهم دكوا الاطواد وانطقوا الجماد وعمروا البلاد ورقوا العباد بل جعلوا الصم يسمعون والعمي يبصرون والموتى يتكلمون فاين نحن منهم بل اين نحن من أسلافنا العرب الذين وثقوا اسباب الحضارة في جميع الاقطار وخفقت اعلام مجدهم على كل الامصار فقد الفوا وصنفوا واستنبطوا واكتشفوا وضربوا في مناكب الارض بحثاً عما أودعتها الطبيعة من الآثار وتطلعوا الى آفاق السماء طلباً لمعرفة ما فيها من الاسرار وكان عندهم من بديع الصنائع وغريب الفنون واتساع التجارة ونمو الزراعة ما لا يتسع المجال لذكره في هذه المحاضرة المختصرة . ويكفي ان أقول ان العلم كان مصاحباً لجنودهم في كل بلاد افتتحوها حتى امتدت حضارتهم من أطراف آسية الى أقاصي أفريقية وقلب اوربة . فلم لم نتشبه بهم في طلب العلم ونشره ! ولم نرض

بالتأخر عن مجاراة الامم الغربية الراقية في سلم التمدن الصحيح والتهذيب الكامل وماهي أسباب عدم رواج العلم في بلادنا ياترى ؟ لا ريب ان لذلك اسباباً كثيرة أخصها مايأتي :

١ — اعتقاد اكثر القوم عندنا ان العلم غير ضروري لكل الناس وانما هو ضروري للذين يريدون ان يشتغلوا به لاكتساب الرزق فقط كما تتخذ المدارس والكتاب والمنشئين والاطباء والمحامين وغيرهم من أرباب الصناعات العلمية اما التجار والصناع والزراع وسائر العامة فهم في غنى عنه لانهم يستطيعون ان يكتسبوا الرزق بدونه . وهذا الاعتقاد خطأ عظيم لان العلم ضروري لكل فرد من أفراد الامة كبيراً كان أم صغيراً اذ يحتاج اليه المملوك كالملك والفقير كالغني والمرأة كالرجل فلا احد يستغني عنه . قال عبد الملك بن مروان لبنيه « يابني تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطاً سدتم وان كنتم سوقة عشتم » . وقال بعض البلغاء « تعلم العلم فانه يقومك صغيراً و يقدمك كبيراً و يصلح زيتك وفاسدك و يرغم عدوك وحاسدك و يقوّم عوجك و يميّلك ويصحح همتك واملك » . وقال مصعب بن الزبير « تعلم العلم فان يكن لك مال كان جمالاً وان لم يكن لك مال كان لك مالاً » . وقال بعضهم اذا اراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم لان العلم عصمة الملوك فهو يمنعهم من الظلم و يردهم الى الحلم و يصدهم عن الاذية و يعطفهم على الرعية . والخلاصة ان البشر كلهم على اختلاف طبقاتهم واحوالهم واطوارهم منتقرون الى العلم فارباب السياسة يحتاجون الى معرفة التاريخ وفلسفة الاجتماع وحقوق الدول وسائر العلوم العمرانية ليستطيعوا ان يسنوا الشرائع العادلة الكافلة بسعادة الامة و ينفذوها بالعدل والنزاهة والعفة .

وارباب التجارة يحتاجون الى معرفة علم الاجتماع وعلم الاقتصاد السياسي وعلم مسك الدفاتر وسائر العلوم التجارية ليستطيعوا ان ينجحوا في تجارتهم نجاحاً تاماً .

واهل الصناعة يفتقرون الى معرفة الرياضيات والطبيعيات لكي يتمكنوا من اتقان صناعاتهم والتفنن فيها حسب الحاجة . والزراع يلزمهم ان يدرسوا العلوم الزراعية لكي يعرفوا خواص الاتربة وطرق الحراثة والتسميد واساليب الري وانواع الزرع والغرس والتطعيم والتلقيح وتربية المواشي وغير ذلك مما لا بد منه لتحسين الزراعة وتوفير الغلال

والنساء يفتقرن الى علم التربية وعلم التمريض وعلم تدبير المنزل لكي يستطعن ان يربين اولادهن تربية صالحة و يخدمنهم في اوقات المرض الخدمة النافعة و يدبرن بيوتهن التدبير الكافل براحة ازواجهن وسعادتهم . والرجال بالاجمال محتاجون الى العلم ليعرفوا مايجب عليهم لازواجهم واولادهم ووطنهم وحكومتهم و يقوموا بواجباتهم كلها حق القيام فاذا نالت الامة كلها نصيباً وافراً من العلم صلحت اعمالها وحسنت احوالها واعتزت حكومتها وارتقى وطنها الى اسمى درجات العمران . فلا احد يستغني عن العلم بوجه من الوجوه لانه حياة الافراد والجماعات والشعوب . ولا ينكر هذه الحقيقة الا الذين اعمى الجهل بصائرهم ولم يفهموا معنى الآية الكريمة « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

٢ — زعم فريق كبير من الناس انه لا فائدة من العلم بدون مال وان المال هو الغاية التي يجب على الانسان ان يسعى لها لانه قاضي الحاجات ورافع الدرجات فهو يغني عن العلم وعن كل شيء وعلى ذلك قول بعضهم :

ان الدراهم في المواضع كلها تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحة وهي السلاح لمن اراد قتالا

وقول الآخر :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لا يباع بدرهم

وهذا الزعم ضلال مبين واقوال الشعراء بهذا المعنى مخرفة وتضليل . والحق ان العلم هو الذي يرفع شأن الامة لا المال . قال عليّ بن ابي طالب : « العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه » .

لا احد ينكر ان المال قوة عظيمة اذا كان بيد من يحسن استعماله ولكنه لا يرفع شأن الجاهل فالجاهل حقير وان كان غنياً والعالم شريف وان كان فقيراً . ومما يؤيد ذلك اننا اذا نظرنا في العلم منفرداً رأيناه خيراً محضاً لانه علة الاتحاد والالفة والتعاون والتناصر . واذا نظرنا في الغنى منفرداً وجدناه شراً محضاً لانه داعية الجري في ميدان الشهوات المحرمة والتنافر والتفريق بين الاهل والاصدقاء . واذا نظرنا في العلم مقترناً بالغنى رأينا

المال خادماً للعلم نافعاً به فالغني العالم منهل عذب وشجرة مثمرة والغني الجاهل بلية عظيمة واضراره للناس جسيمة وكفى بما قدمناه دليلاً على ان العلم خير من المال وينبغي ان يكون غاية لا واسطة بل هو أشرف الغايات عند العقلاء ولو كرهه الجهلاء .

٣ — توهم بعضهم ان العلم كله يقوم بمعرفة القراءة والكتابة وبعض قواعد الصرف والنحو وأعمال الحساب الاولى وحفظ بضع قصائد وحكم فاذا تيسرت هذه المعرفة لاحد الناس لقب نفسه بالعالم وادعى التفوق على غيره وطلب التصدر في المجالس وطالب الامة باكرامه وتعظيمه واحتقر العلماء الكبار واستخف بالعلوم الحديثة التي يتوقف عليها عمران البلاد ونجاح العباد وانكر الحقائق العلمية الثابتة بالادلة الراهنة كدوران الارض حول الشمس وحاول البرهنة على انها ساكنة غير متحركة او انها مستقرة على قرن الثور وكل ذلك من الاغلاط الفاضحة لان معرفة الاشياء المذكورة وان كانت ضرورية ونافعة ليست الا جزءاً صغيراً من العلم فلا تغني عن غيرها من المعارف المفيدة ولا تكفي لتسمية صاحبها عالماً ولا تحرر عقله من الخرافات ولا تعرفه قدر نفسه وانما العالم الحقيقي من تضلع من العلم على اختلاف انواعه الطبيعية والرياضية والتاريخية وغيرها وعرف على الاقل نظام الارض وخواص اتربتها ومعادنها وترتيب بلدانها واصناف سكانها وحواصل اقاليمها وعجائب حيوانها وتركيب مائها وسنن هوائها وتواريخ اجيالها القديمة وممالكها العظيمة وعرف مع كل ذلك قدر نفسه ولم يستكبر على ابناء جنسه . فمعنى العلم عند المحققين أوسع مما يتوهمه المدعين وما أحسن قول الشاعر :

قولوا لمن يدعي علماً ومعرفةً عرفت شيئاً وغابت عنك اشياء

٤ — ادعاء شرذمة من الناس ان العلم يناقض الدين ولذلك رفض بعض البسطاء من اهل الدين حقائق العلم خوفاً على دينهم من الفساد واحتقر بعض المشتغلين بالعلم حقائق الدين ظناً منهم انها تخالف العلم . وكلا الفريقين مخطئ لان العلم الصحيح لا يمكن ان يناقض الدين القويم وانما هما حليفان كل منهما يؤيد الآخر ويخدمه ولي على اثبات ذلك أدلة . الاول انه لو كان العلم والدين نقيضين للزم عن ثبوت احدهما بطلان الآخر ولكن كلاً منهما ثابت بالادلة القاطعة الجلية فلا تناقض بينهما لان مصدرهما واحد فالدين وحي الله على محيا الشريعة والعلم وحي الله على صفحات الطبيعة . وبين الدين

والعلم رابط شديد وهو الايمان وهذا مما يستغربه السامع لاول وهلة لان الشائع بين القوم ان الايمان مختص بالدين والحق انه من لوازم العلم ايضاً فكما يؤمن اهل الدين بالحقائق الروحية ويسيرون في حياتهم الدينية بقوة الايمان فيعملون خير الاعمال وأعمال الخير كذلك يؤمن اهل العلم بالحقائق الطبيعية ويسيرون في حياتهم العلمية بقوة الايمان فيجيئون بعجائب المخترعات وغرائب المكتشفات . فالايمان من أعظم قوى العالمين وبه تم كل شيء نافع في عالم العلم وعالم الدين وهو بينهما رباط متين .

الثاني : انه لو كان العلم مناقضاً للدين للزم عن ذلك ان كل عالم كافر وكل دين جاهل وهو خلاف الواقع لان كثيرين من اهل العلم متدينون وكثيرين من أهل الجهل كافرون . بل ان الذين يتمسكون بالدين حق التمسك هم العلماء لا الجهلاء وما أحسن قول القرآن الكريم : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . وحسبنا ثبتاً لذلك ان نذكر بعض المتدينين من اهل العلم المتقدمين والمتأخرين . فمن المتقدمين ابو جعفر المنصور الذي كان مع كلفه بعلم الفلسفة وعلم النجوم متديناً بارعاً في علم الفقه . وهرون الرشيد الذي امر ان تبنى بجانب كل جامع مدرسة ليسير الدين والعلم معاً لانه كان يعتقد انهما حليفان لا نقيضان . والمأمون الذي كان أعظم الخلفاء واعلمهم وكان عارفاً من اللغات اليونانية والعبرية والهندية والفارسية فضلاً عن تبحره في الفلسفة وعلم الفلك ومع ذلك كان تقياً ورعاً . وابن سينا الذي اشتهر بالعلم الطبيعي وعلم الطب وغيره وكان له نحو مئة تصنيف كان ايضاً مشهوراً بالعلم الالهي والتمسك بدينه . وفخر الدين الرازي عبدالله المعروف بابن الخطيب الذي فاق اهل زمانه في علم الاوائل والمعقولات وكان له عدة تصانيف كان ايضاً اماماً في علم الكلام تقياً متعبداً . ومن المتأخرين فيلسوف الانكليز العظيم اسحق نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية والعلامة الاميركي المشهور بعلم طبقات الارض الدكتور دوسن . والنابغة الاميركي الذي خدم سورية سنين عديدة بالتطبيب والتدريس والتأليف العلامة فانديك . فان كل هؤلاء وكثيرين غيرهم من وطنيين وأجانب كانوا من فحول العلماء وكبار الاتقياء . والعالم اليوم مملوء بالرجال الذين يعدون بالوف الالوف وكلهم من العلماء المتدينين فليس كل عالم كافراً ولا كل دين جاهلاً ولا تناقض بين العلم والدين . فان قيل ان كثيرين من العلماء مرقوا من الدين

قلت ان مروقهم لم ينشأ عن العلم بل عن فساد قلوبهم وخبث نفوسهم الامارة بالسوء وما كان العلم الا كاشفاً لذلك المروق لاسبباً له وعدم التناقض بين العلم والدين لا يستلزم ان يكون كل عالم ديناً كما ان عدم التناقض بين العلم والغنى لا يستلزم ان يكون كل عالم غنياً وكفى بذلك دليلاً لمن يريد الاذعان للحق .

الثالث : انه لو كان العلم مناقضاً للدين للزم عن ذلك ان المرء كلما تبحر في العلم توغل في الكفر وهو خلاف الحقيقة لان الاختبار اثبت لنا ان المتدين كلما تبحر في العلم زاد تديناً اذ ان العلم يعينه على كشف أسرار الكون وكلما كشف منها سراً اقرب من رب الاسرار وعالم الخفايا جل جلاله كراقي سلم قصر شاهق كلما صعد درجة تقرب من المقيم باعلى غرفة فيه . وقد شهد العلماء الاتقياء ان العلم لم يزدهم الا ايماناً بخالق الاكوان لانهم قرأوا آياته البينات في كتاب الطبيعة كما قرأوها في كتاب الشريعة . وهم الذين اثبتوا وجوده تعالى وجلوا آيات كونه ورفعوا أعلام عظمته ومزقوا حجب الظلمات عن محيا حكمته وقدرته وجوده . منهم العلامة كلفين احد أعيان الانكليز المتوفى سنة ١٩٠٧ الذي اشتهرت مباحثه الكهربائية في الاقطار وجاء بالبدع العجيبة في معرفة اعماق المحار وقد نسب اليه العلماء اعظم المسائل المتعلقة بالجوهر الفرد والاثير وغيرها فهذا الرجل الجليل الذي فاق اقرانه في المباحث العلمية لم يكتف بكشف الاسرار المادية بل أخذ يبحث في المعقولات والمشيئة والاختيار والعواطف والانفعالات والقوة والعقل والعلة العاملة وامثال ذلك من الموضوعات العقلية وأثبت في كل من تلك المباحث آيات القصد والحكمة في العالمين ومما قاله في ذلك « ان الاشياء كانت اما بالاتفاق (الصدفة) واما بالضرورة واما بالقصد وكل من الاول والثاني باطل . اما الاول فلانه يقتضي كون معلول بلا علة . واما الثاني فيقتضي ان الاشياء على ما هي عليه الآن كانت كذلك منذ الازل . والواقع خلاف ذلك على ما ثبت في مباحث التكوين فكيف توزعت عناصر العالمين على نسبتها المعلومة ولما ذا كان الذهب أقل من الحديد والحديد من الصلصال . وكيف استنسبت الكرة الارضية في خواص موادها وصفاتها ومقدارها وتوزعها على مقتضى حاجة الاحياء وانتشارها ونموها وكيف نشأت الحياة في الجماد ؟ ما ذلك الا لان كل حي قائم بعناية خالق حكيم ضابط الكل فالعالم مخلوق فثبت الخالق » .

وهذا من الادلة العلمية التي لا يسع الكفرة انكارها فالعلم الحق لا ينافي الدين الحق ولا ينفيه بل يثبته ويؤيده ويقويه . واما الذين كفروا بالله وآياته فقد كان كفرهم لقلة علمهم قبل ان يقفوا على بينات الدين فلما تعمقوا في العلوم اشتغلوا بها دون غيرها فتمكن منهم الكفر الى حد لم يستطيعوا عنده الرجوع عنه ولو عرفوا ضرره فمثلهم مثل الذي أدمن المسكرات حتى صار شريبها من طبعه واخلاقه فيستمر عليها ولا يرجع عنها مع معرفته ضررها . وجملة القول ان التعمق في العلم يزيد المؤمن ايماناً والكافر كفراً . فلا تناقض بين العلم والدين بل هما حليفان ولو كرهه الكافرون . ومما يؤيد ذلك ان كلاً منهما نافع للآخر فالعلم افاد الدين بانه ازال عنه كثيراً من البدع والخرافات التي شوهت محاسنه واثبت كثيراً من حقائقه بالاكتشافات المتعددة . والدين افاد العلم بتشييد معاهده ونشر كتبه ورفع اعلامه باموال المتدينين كما تشهد المدارس القديمة في دمشق وغيرها من البلاد العربية فان الدين اسسها ووقفوا عليها الاراضي والابنية كانوا من اهل الدين . والمدارس التي استنها البعثات الاجنبية في انحاء الارض الخاتمة انما تأسست باموال المحسنين من اهل الدين ايضاً . فالعلم والدين كانا ولا يزالان حليفين ينصر احدهما الآخر ويؤيده لا يناقضه ولا يفسده فالاسباب التي يتورك عليها المستخفون بالعلم والحائفون منه كلها باطلة والحجج التي يوردونها كلها فاسدة . واذ قد أثبت ان العلم من مقومات الحياة العقلية والادبية والاجتماعية والسياسية واوضحت فوائده المعنوية والمادية ومكانة الجامعة الانسانية القديم الآن الى بيان الواجب المفروض على الطلاب والعلماء والوالدين والحكومة والامة كافة في هذا الشأن . فاقول على طلاب العلم ان يدخلوا بيوته من ابوابها ويأخذوا فروعه من ارباضها ويجتهدوا في الدرس والمطالعة والتأمل والمراجعة ويواظبوا على كل ذلك بلا ملال ويحترزوا من الكسل والاهمال متذكرين قول من قال :

ومن طلب العلوم بغير درس ... سيدركها متى شاب الغراب

وعليهم ان يفهموا ما يقرأونه لئلا يكونوا كالببغاء ويحفظوا ما يفهمونه لان العلم في الصدور لا في السطور . والعرب تقول حرف في قلبك ولا الف في كتبك وما احسن قول الشافعي :

علي معي حيثما يمت ينفعني صدري وعاء له لا بطن صندوقي
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان العلم في السوق

وعليهم ان لا يقتصروا على نوع واحد من العلم بل ليشاركوا في فروع كثيرة منه . قال يحيى بن خالد لابنه : « عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فان المرء عدو لما جهل وانا اكره ان تكون عدواً لشيء من العلم » وقال الشاعر :

ما حوى العلم جميعاً احد لا ولو مارسه الف سنه
انما العلم بعيد غوره فخذوا من كل علم احسنه

ويجب عليهم ايضاً ان يعاشروا العلماء ويذاكروهم في المسائل العلمية ويستفيدوا من اختباراتهم الكثيرة » قال الشاعر :

واطل في العلم مذاكرة فحياة العلم مذاكرته

ونحن بهم ان يدونوا ما يسمعونه من الفوائد لان الانسان عرضة للنسيان ويثابروا على ذلك الى نهاية الحياة مذللين كل عقبة في سبيلهم وغالبين كل صعوبة تثبط عزائمهم وغير معتذرين بضيق الوقت او كبر السن فان الانسان يقدر ان يجد وقتاً كافياً للتعلم اذا اراد ان يجد وقتاً كافياً للملاهي المضرة او البطالة والراحة او التلذذ باشباع الشهوات ولا احد يكبر عن العلم ولو بلغ الثمانين من سنيه . قيل ان فكتوريا ملكة الانكليز شرعت في درس اللغة الهندية وهي في الثالثة والثمانين من عمرها . ومئات من العلماء المشهورين لم يشرعوا في تحصيل العلم الا بعد ان تجاوزوا العشرين او الثلاثين او الاربعين من اعمارهم كابي بكر الرازي فقد قيل انه لما شرع في تعلم الطب كان قد جاوز اربعين سنة من العمر . ومنهم من درسوا العلوم وهم في المعامل او المتاجر او المزارع لعدم تمكنهم من تحصيلها في المدارس ايام الحداثة . وكل من جد وجد فلا شيء يمنع المجتهد من اكتساب العلم مهما حال دونه من العقبات . ويجب على العلماء ان يكونوا عاملين بعلومهم باذلين جهدهم في زيادته ونشره ورفع لوائه وتعزيز منزلته لانهم كالمرافي التي تعكس النور فان لم يفيدوا غيرهم او يستفيدوا منه كان عليهم عقماً . والعالم الحقيقي من لا يبخل بالافادة ولا يستنكف من الاستفادة . وعليهم ان ينهضوا الهمم الوانية ويقودوا العزائم الواهية ويدعو الناس الى ورود مناهل العرفان ويحببوا اليهم السير في مناهج الفضيلة ويبينوا

لهم مزايا العلم الحميدة ومنافعه العديدة ويحذروا العجب والكبرياء ويجتنبوا التملق والرياء فان ذلك ينافي الفضل ويدل على الجهل . قال الامام عمر بن الخطاب « تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

ويجب على الوالدين ان يعتنوا بتثقيف عقول اولادهم وتهذيب اخلاقهم كما يعتنون بتربية اجسادهم ويختاروا لهم افضل المعلمين المقتدرين الامناء المعروفين بطهارة السيرة ويضعوهم في ارقى المدارس التي تنفخ في تلاميذها روح الرجولية وتلقنهم المبادئ الشريفة التي تؤهلهم للحياة النافعة الصالحة . ومن قصر في ذلك كان قاتلاً بل شراً من القاتل لان قتل العقل اقظع واضر بالمجتمع من قتل الجسد ولان يهلك الرجل ولده بالسيف اخف جرماً من ان يميت عقله بالجهل فيكون شر الظالمين السفاكين .

ويجب على الحكومة وهي المقامة لصيانة الوطن واعلاء شأنه وتنظيم احوال الامة بتوفير اسباب الراحة وتمهيد سبل السعادة ان تعنى عناية عظيمة بنشر العلم الصحيح في كل بلد وقرية بين الذكور والاناث لان الامة لا تحيا سعيدة ولا تجاري الامم المتمدنة الا بانتشار المعارف فيها وتمزق غياهب الجهل عنها . ولابد للوصول الى ذلك من انفاق الاموال الطائلة لزيادة عدد المدارس الابتدائية بحيث يتسنى لكل ولد ان يجد مدرسة قريبة منه ليتلقى العلم فيها . وحينئذٍ تتمكن الحكومة من جعل التعليم الزامياً مجانياً فلا يمر وقت طويل حتى يصبح افراد الشعب كلهم متعلمين . وجميع ما ينفق من الاموال في هذا السبيل يعود على الدولة بالربح الجزيل لانها تعد بذلك خير الرجال الذين يعززون شأنها ويشيدون بنيانها . وقد عرفت الحكومات الغربية هذه الحقيقة فخصصت مبالغ طائلة من دخلها للانفاق في سبيل العلم والتعليم . فحكومة الولايات المتحدة تنفق نحو عشرين الف الف ريال في السنة على مدارسها وقد ضمت الى دواوين الزراعة والمساحة اكبر علمائها وقطعت لهم الرواتب الطائلة . وحكومة فرانسه تنفق على التعليم اكثر من الف الف دينار في السنة . وحكومة انكلترة تبذل في سبيل المعارف نحو خمس نفقاتها كلها ومثلها حكومة بلجيكة وامتازت حكومة سويسره بانفاقها نحو ثلث دخلها في هذا السبيل . وفي ما ذكر كفاية لبيان اهتمام دول الغرب بنشر المعارف بين رعاياها وهي تعضد

كل مشروع علمي كالمدارس الاهلية والاندية الادبية والجامع اللغوية ونشر القراءة وتنشيط المؤلفين واصحاب المجلات وغيرهم من ذوي الاقلام وتكافئهم بالعطايا الجزيلة لانها تحسب ذلك من افضل الذرائع الى نشر العلم والآداب في الاوطان ومن امتن الدعائم التي يبنى عليها العمران . وقد حذت حكومتنا الرشيدة حذو الحكومات الراقية في الاهتمام بنشر المعارف في هذه الربوع على قدر ما مكنتها الاحوال فاستحقت الثناء الطيب . الا ان البلاد لاتزال في حاجة شديدة الى زيادة عدد المدارس الكفيلة بتعميم العلم بين الشعب وانهاضه الى مساواة الشعوب الغربية ولا ريب في ان الحكومة الحاضرة ستبذل جهدها في سد هذه الثلمة في القريب العاجل بمنه تعالى وحسن توفيقه .

اما الامة فيجب عليها ان تستيقظ من غفلتها وتنهض من كبوتها وتتيقن انه لاحياة لها الا بالعلم وان العلم لاينال الا بالاجتهاد والمثابرة والسخاء فلا يجوز للشعب ان يتكاسل في هذا الامر الخطير ولا ان يتوقع من الحكومة ان تقوم وحدها باعباء هذا العمل العظيم بل يجب على الافراد والجماعات ان يعاونوا الحكومة على بث المعارف بتأليف الجمعيات العلمية وتأسيس المدارس الاهلية والاندية الادبية التي تنور الاذهان وتنشر العرفان . وعلى الاغنياء خصوصاً ان يبذلوا شيئاً من اموالهم لمعاضدة المشروعات التي تنفع الاوطان وتضمن لها النجاح وعلو الشأن ذلك خير من بذل اموالهم في سبيل التمتع بلذاتهم او كنزها في الصناديق الحديدية او المصارف التجارية بحيث لا ينتفع بها احد في حياتهم بل يستولي عليها الورثة بعد مماتهم وربما بذروها في ارتكاب المعاصي او خزنوها كما فعل اسلافهم الذين ورثوها عنهم فلم ينتفعوا هم بها ولا نفعوا غيرهم . ان بعض الاغنياء في بلادنا قد شعروا بوجوب الانفاق في سبيل العلم ومدوا ايديهم الى مساعدة المشروعات العلمية والاعمال الخيرية فاستحقوا الشكر ولكن باقي الاغنياء لايزالون مهملين هذا الواجب غافلين عنه وهم يباهون بايلام الولائم الفاخرة وركوب الخيول المطهمة بينما يباهي اغنياء الغرب بوقف اموالهم الطائلة على انشاء المعاهد العلمية ومعاضدة الملاجئ الخيرية ولا يقتصرون على معاونة اوطانهم بل يراسلون باموالهم الى غير بلادهم لتأسيس المدارس الابتدائية والعالية والجامعة خدمة للانسانية كما تشهد آثارهم في هذا القطر وغيره من اقطار الارض البعيدة والقريبة فمتى يهتم اغنياؤنا

بتأسيس مدرسة كلية في وطنهم تشبه الكلية الاميركية او الكلية اليسوعية في بيروت بل متى يهتمون بزيادة عدد المدارس الابتدائية الاهلية في البلدان التي لايزال الوف من سكانها يجهلون القراءة والكتابة . وربما يعتذرون بان ثروتهم قليلة بالنسبة الى ثروة اغنياء الغرب فلا يمكنهم ان يقوموا بمثل اعمالهم ولكن قلة ثروتهم لاتمنعهم من القيام بشيء من الاعمال النافعة لبلادهم والامة لاتطالبهم بما هو فوق طاقتهم بل لتوقع منهم ان يتعودوا البذل في سبيل العلم شيئاً فشيئاً الى ان يستطيعوا القيام بعمل كبير نافع وما ذلك عليهم بعسير . فيا أيها السوريون النجباء والاخوان الادباء اجيبوا نداء محب مخلص يدعوكم الى نشر العلوم والمعارف والآداب والفضائل في الوطن العزيز . وسيروا في سبيل التمدن الحقيقي بالجد والنشاط والعزم والثبات تبلغوا ذروة النجاح . وتفوزوا بالخير والفلاح . والله المسؤول ان يوفقكم لكل سعي مشكور . ويعضدكم في كل عمل مبرور . انه ولي الامر والتدبير . وهو على كل شيء قدير .

عصر النقيقر قد مضى واتاكم ... عصر بانوار التقدم ساطع
فدعوا التوانيَ وابذلوا مجهودكم ... في العلم ان العلم فيه منافع
وابنوا المدارس وانشروا الكتب التي ... ثمر التهى والفضل فيها يانع
فالجهل ليل ماله من هازم ... الا صباح بالمعارف لامع

انيس سلوم